٤٤

مع ابنِ كثير في تفسيره لنتدبر ما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (١)

فقد جاء في تفسير هاتين الآيتين قوله:

يقول تعالى: ولَمَّا كان يومُ المَعَاد والجزاء بالخيرِ والشرِّ واقعاً لا محالةَ، أنزلنا القرآنَ بشيراً ونذيراً، بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ فصيحٍ لا لَبْسَ فيه، ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي: يتركون المآثمَ والمحارمَ والفواحشَ ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ وهو إيجاد الطاعة وفِعْل القُرُبَات ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ ﴾ أي: تنـزَّهَ وتقدَّسَ الملكُ الحق، الذي هو حقٌّ، ووعدُه حقٌّ، ووعيدُه حقٌّ، ورُسُلُه حقٌّ، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، وكُلُّ شيءٍ منه حقٌّ. وعدلُه تعالى أن لا يُعذِّبَ أحداً قبل الإنذار، وبعثة الرسل، والإعذار إلى خلقه؛ لئلا يبقى لأحدٍ حُجَّةٌ ولا شُبهةٌ.

﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ كقوله تعالى في سورة القيامة: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾

---

(١) طه: ١١٣، ١١٤.

obeikandl.com

﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [1]

وثبت في الصحيح، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أن رسولَ الله ﷺ « كان يُعالِجُ من الوحي شدةً، فكان مِمَّا يُحرِّكُ به لسانه، فأنزل الله هذه الآية » يعني: أنه ﷺ كان إذا جاءه جبريلُ بالوحي كُلَّما قال جبريلُ آيةً قَالَهَا معه؛ من شِدَّةِ حِرصه على حِفْظِ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخَفُّ في حقِّه؛ لئلا يشق عليه، فقال: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧﴾ أي: نجمعه في صدرك، ثم تقرؤه على الناس من غير أن تنسى منه شيئاً ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾.

وقال في هذه الآية: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ أي: بل أَنْصِت، فإذا فرغ الملكُ من قراءته عليك، فاقرأ بعده ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ۝١١٤﴾ أي: زِدني منك علماً. قال ابنُ عيينه رحمه الله: « ولم يزل ﷺ في زيادةٍ حتى توَّفاه الله ﷻ »، لهذا جاء في الحديث: « أَنَّ اللَّهَ ﷻ تَابَعَ الْوَحْيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ حَتَّى تُوُفِّيَ وَأَكْثَرُ مَا كَانَ الْوَحْيُ يَوْمَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » [2]

أخي المسلم: ذاك ما ذكره ابنُ كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ۝١١٣ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ۝١١٤﴾

---

(١) القيامة: ١٦ – ١٩.

(٢) مسلم: كتاب التفسير، رقم ٥٣٣١.

obeikandl.com

ومِن رحمةِ الله بخَلقه أنْ حَفِظَ القرآنَ وأبقاه في حياة الناس؛ ليُبصِّر ويُذكِّر الأجيالَ كُلَّها إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها. وجعل نجاتَهم من الضلال والشقاء منوطةً باتِّباع هدايته وتحقيق مقاصده. فمَن أبَى إلاَّ المخالفة له والإعراض عنه، ضاقَت معيشتُه، وساءت عاقبته ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (١)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (٢) ليحذر الناسُ مخالفته فيما أَمَرَ به أو نَهَى عنه؛ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ما يترتَّبُ على المخالفة من عقابٍ وجزاء ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ في قلوبهم عِظَةً وعِبرةً يعتبرون بها ويتَّعظون، ويُقبلون على فِعْلِ الخير واجتنابِ الشر. وذلك لمصلحتهم في عاجلهم وآجلهم، والله غنيٌّ عن العالمين.

فليس للإنسانية – وهي تطلب البركة، وتشكو انتزاعها، وتنشُد الرحمة، وتشكو ضياعها – إلاَّ أن تعرض نفسَها عليه، وتُحسن تدبّره، وتخشى وعيده، فتتبع أمره، وتسترشد بهديه.

---

(١) طه: ١٢٣- ١٢٧.

(٢) طه: ١١٣.

﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (١)

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ (٢)

أنزله وتكفَّلَ بحفْظِهِ، ومَن خالفه تعرَّضَ للكيدِ.

﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٣)

لقد صرَّف الله فيه من الوعيد؛ ليعود المنصرفون عنه إلى الاعتصامِ به، وليُبصِرَ التائهون - في بيداء الحياةِ - سُبُلَ النجاة على ضوئه ونوره، وليَفيق الغافلون المأخُوذون بزهرةِ الحياة الدنيا، فينظروا ماذا قدَّموا لغَدِهم، وأعدُّوا للقاء ربِّهم.

والقرآنُ معهم، يهديهم بنُوره في كُلِّ شأنٍ من شئونهم، ويُبَشِّر مُحسنَهم، ويُنذرُ مُسيئَهم، وهو عزيزٌ لا يبطل هَدْيه، ولا يُطفأُ نورُه، ولا يتوقَّف عطاؤه.

فمن رحمة الله بالإنسانية جميعاً أنْ حَفِظَ لها هذا الكتاب؛ لتجد - دائماً - ما تَزِنُ به أمرَها، وتُصحح خطأها، وتُعالج واقِعَها.

وما من شأنٍ إلاَّ وللقرآن فيه بيان. فيه تُعرَف قِيَمُ الناس وتُوزَنُ أعمالُهم، وبه يرفع الله أقواماً، ويضع آخرين. وهو ثابتٌ لا يتغيَّر، محفوظٌ بحِفْظ الله لا يتبدَّل. فلنعتصم ولا نتفرَّق. ونُصحح به أمرنا، ونُنير حاضرَنا ومستقبلنا.

---

(١) الأنعام: ١٥٥.
(٢) الشعراء: ١٩٢.
(٣) القلم: ٤٤، ٤٥.

obeikandl.com

وهو يدعونا إلى الأخذ بالأسباب في شتى المجالات، ويُحذّرنا من التقصير في الأخذ بالأسباب، فإن سُنَنَ الله لا تُجامِلُ أحداً. وكُلُّ إنسانٍ مجزيٌّ بعمله، مأخوذٌ بسَعْيِه.

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ (١)

* * *

(١) النساء: ١٢٣، ١٢٤.

obeikandl.com

٤٥

مع ابنِ كثير في تفسيره لنتدبر ما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾(١)

فقد جاء في تفسير هاتين الآيتين قوله:

يقول تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ: لا تنظُر إلى هؤلاء المُترَفين وأشباهِهم ونُظرائِهم؛ فمَا هُم فيه من النعيم ما هو إلاَّ زهرةٌ زائلةٌ، ونعمةٌ حائلةٌ؛ لنختبرهم بذلك. ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾(٢)، وقال مجاهدٌ: ﴿ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ يعني: الأغنياء. فقد آتاك الله خيراً مِمَّا آتاهم. كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾(٣)

وكذلك ما ادَّخره الله تعالى لرسولِه ﷺ في الآخرة أَمْرٌ عظيمٌ لا يُحَدُّ ولا

(١) طه: ١٣١، ١٣٢.
(٢) سبأ: من الآية ١٣.
(٣) الحجر: ٨٧، ٨٨.

يُوصَف. كما قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾ [١] ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ ﴾ [٢]

وفي الصحيح أن عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما دخل على رسول الله ﷺ في تلك المشربة [٣] التي كان قد اعتزل فيها نساءَه، فرآه مُضَّجعاً على رمال حصيرٍ [٤]، وليس في البيت إلا صُبْرَة من قَرَظ [٥]، وأُهُب [٦] مُعلَّقة، فابتدرتْ عينا عمر بالبكاء، فقال له رسول الله ﷺ: « ما يُبكيك يا عمر ؟ » فقال: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هُمَا فيه، وأنت صَفْوَة الله من خلقه. فقال ﷺ: « أوَ في شَكٌّ أنتَ يا ابن الخطاب ؟ أولئك قومٌ عُجِّلت لهم طَيِّباتُهم في حياتهم الدنيا » [٧]

فكان ﷺ أزهدَ الناس في الدنيا مع القدرة عليها. إذَا حصلت له يُنفقها هكذا وهكذا، في عباد الله، ولم يدَّخر لنفسه شيئاً لغد.

روى ابنُ أبي حاتم عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا. قَالُوا: وَمَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا يَا رَسُولَ

---

(١) الضحى: ٥.
(٢) طه: من الآية ١٣١.
(٣) المشْربة: الموضع الذي يُشْرَبُ منه.
(٤) يُقال: رَملْت الحصير وأرْملْته، إذا نسجْته.
(٥) القرظ: ورق شجر السلم يدبغ به.
(٦) أُهُب: بضم الهمزة والهاء، وبفتحهما على غير قياس، جمع إهاب، وهو الجلد.
(٧) ورد هذا المعنى في: صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة، رقم ٢٢٨٨، وفي صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء، رقم ٢٧٠٧.

اللَّهِ ؟ قَالَ: بَرَكَاتُ الأَرْضِ » (١)

وقال قتادةُ والسُّديُّ: ﴿ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ يعني: زينة الحياة الدنيا. وقال قتادةُ: ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ لنبتليهم.

وقوله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ أي: استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، واصبِر أنتَ على فعلها. كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (٢)، وقوله: ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ﴾ يعني: إذا أقمتَ الصلاةَ أتاك الرزقُ من حيثُ لا تحتسب. كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ (٤) روى الترمذيُّ وابنُ ماجه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ. وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ » (٥)

وروى ابنُ ماجةَ عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت نبيَّكم ﷺ يقول: « مَنْ

---

(١) مسلم: كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، رقم ١٧٤٣.

(٢) التحريم: من الآية ٦.

(٣) الطلاق: ٢، ٣.

(٤) الذاريات: ٥٦ – ٥٨.

(٥) الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، رقم ٢٣٩٠، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب.

جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ » (١)

وروى أيضاً عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ. وَمَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » (٢)

وقوله: ﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ أي: وحُسن العاقبة في الدنيا والآخرة – وهي الجنة – لِمَن اتَّقى الله.

أخي المسلم: ذاك مما ذكره ابنُ كثيرٍ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ فلنعرف السبيلَ لخيرِ دُنيانا وآخرتِنا، ولنتدبر العاقبةَ في كلِّ شأنٍ من شئوننا، ولنحذر أن تستخفَّنا زهرةُ الحياة الدنيا، فتأخذنا بعيداً عن حقائق الأمور وغاياتها. فكم فُتِنَ الناسُ بها فأهلكتهم، وركنوا إليها واطمأنوا بها، فساءت عاقبتهم.

وليكُن هَمُّنا – في الأصل – العمل للآخرة؛ فإن العملَ للآخرة خيرٌ لدُنيانا وأُخرانا.

---

(١) ابن ماجة: كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، رقم ٤٠٩٦.
(٢) ابن ماجة: كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، رقم ٤٠٩٥.

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [1]

إنَّ سعى الآخرةِ إيمانٌ وعملٌ صالح، وبه تنعَمُ الدنيا وتأمن.

فعملُ الآخرة ليس بمعزلٍ عن الدنيا. إن الآخرةَ تُنال بما يكون في الدنيا، من تعاونٍ على البرِّ والتقوى، لا على الإثم والعدوان. ويُطلب الفوز فيها بما يكون في الدنيا من استقامةِ سعي، وعملِ خير، وصدق إيمان ويقين.

ومَن فُتِنَ بدُنياه دمَّر دُنياه وخَسِرَ أُخراه؛ فلا الدنيا باقية لمن أرادها، ولا الآخرة تُرجَى بغير إرادتها والعمل لها.

وتحديدُ المفاهيم أصلٌ فيما تصلح به دُنيانا وتسلم أُخرانا، واقتران النية بالعمل يجعل من العمل المشروع سَعياً للآخرة تُرجَى به رحمةُ الله، ويُطلَب رضاه؛ فـ « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » [2]، وعندئذٍ يتم الاعتدال في السعى، وتؤدَّى الحقوق في توازنٍ وعدلٍ، وإحراز للطيبات، وبُعْدٍ عن الخبائث.

ومن هنا نستطيع أن نُدركَ المناسبة بين الآيتين في قوله: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ وقوله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ فإنَّ القرآن الكريم يُبصِّرك بالدَّاء والدَّواء معاً، فينهى ويأمر؛ لتحذر ما نهاك عنه، وتأخذ بما أمرك به. ولا توازن يتم في النظر إلى الدنيا والرضا بما قسم الله

(١) الإسراء: ١٩.
(٢) البخاري: كتاب بدء الوحي، رقم ١.

فيها إلاّ بالفَزَعِ إلى الصلاة. هكذا كان الأنبياءُ ومَن تبعهم بإحسان، عن ثابت، قال: « كان النبيُّ ﷺ إذا أصابته خصاصةٌ نادى: يا أهلاه، صلُّوا، صلُّوا » [1]

وعن هشام بن عروة، عن أبيه: أنه « كان إذا دخلَ على أهل الدنيا، فرأى من دُنياهم طَرَفاً، فإذا رجع إلى أهله، فدخل الدارَ، قرأ: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ وقال: الصلاةَ، الصلاةَ رحمكم الله » [2]

(١) شعب الإيمان للبيهقي: ٧/١٨٣، رقم ٣٠٣٥.

(٢) الزهد لأبي داود السجستاني: ١/٤٦٨.